293

الأبحاث والدراسات

نجران في التراث السرياني منذ وصول النصرانية حتى ظهور الإسلام (٤١٩-٦١٠م)

(دراسة نقدية في ضوء المصادر الموازية [*]

د. عوض بن عبد الله بن ناحي

(*) دراسة منشورة في كتاب: القول المكتوب في تاريخ الجنوب ، لغيثان بن جريس (الطبعة الاولى)،(الرياض: مطابع الحميضي ، ١٤٤٢هـ٢٠٢١م) (الجزء العشرون)، ص ص ٦١-٨٦.

ثالثاً: نجران في التراث السرياني منذ وصول النصرانية حتى ظهور الإسلام (٤١٩- ٦١٠م): دراسة نقدية في ضوء المصادر الموازية). بقلم. د. عوض بن عبدالله بن ناحي [١].

م	الموضوع	الصفحة
أولاً:	تمهيد	٦١
ثانياً:	التعريف بالمصادر	٦٣
ثالثاً:	جذور النصرانية في نجران من التبشير حتى الانتشار	٦٧
رابعاً:	محنة النصرانية في نجران: من الانتشار إلى الاضطهاد	٧٣
خامساً:	النصرانية في نجران بعد المحرقة حتى ظهور الإسلام	٨١
سادساً:	اليهودية في نجران في السردية السريانية	٨٣
سابعاً:	الخاتمة	٨٤

أولاً: تمهيد

أظهرت التواريخ غير الإسلامية اهتماماً ملحوظاً بنجران منذ عصور ما قبل الميلاد وهو ما يتضح في الكتابات الكلاسيكية (يونانية- لاتينية)، إذ مثلت أهمية اقتصادية بالغة كونها أحد أهم المدن الواقعة على طريق تجارة البخور والتوابل (Cravan Route)[٢]. ثم كانت موضع اهتمام آخر للتواريخ النصرانية الشرقية (Eastern Christian Chronicles) على اختلاف لغاتها فقد كانت نجران أهم مركز للنصرانية في جنوب جزيرة العرب طوال القرنين السادس والسابع الميلاديين.

وتمثل المصادر السريانية (Syriac Sources) التي دوِّنت في بلاد الرافدين والشام مصدراً ثرياً لتاريخ منطقة نجران منذ القرن الخامس الميلادي. فقد أرّخت هذه

---

(١) للمزيد عن سيرة الدكتور عوض بن عبدالله بن ناحي العسيري. انظر: غيثان بن علي بن جريس. القول المكتوب في تاريخ الجنوب (ط١) (١٤٣٢-١٤٣٣هـ/ ٢٠١٠-٢٠٢٠م)، ج٣، ص٢٩٢. والكتاب نفسه، الجزء السابع عشر، الطبعة الأولى، ص١٧٣. والطبعة الثانية من الجزء نفسه (١٤٤٢هـ /٢٠٢٠م)، ص ١٧٧ .

(٢) أشار كل من استرابو (Strabo) وبليني (Pliny) إلى نجران باسم "نجرانا" (Negrana) كإحدى المدن المحصنة الواقعة على طريق البخور أثناء حديثهما عن الحملة الرومانية بقيادة أليوس جاليوس (Aelius Gallus) على جنوب الجزيرة العربية سنة ٢٤ ق. م، كما أشار إليها بطليموس (Ptolemy) في كتابه الجغرافيا باسم "نجران ميتروبوليس" (Negara Metropolis). انظر:

Pliny, ***The Natural History of Pliny***, Transl. John Bostock, M.D., F.R.S. and H. T. Riley, Esq., B.A., (London, H.G. Bohn, 1855), Vol. 2, p. 90. Strabo, ***The Geography of Strabo***, Transl. , tr. H.L. Jones (London, Loeb Classical Library, 1930), Vol. vii, p. 357.

علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، (بيروت، دار الساقي، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م)، ج٤، ص ١٥٩- ١٦٠. الذييب، سليمان بن عبدالرحمن، الحملة الرومانية الأولى على جنوب غرب شبه الجزيرة العربية، (الرياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٣٦هـ، ٢٠١٥م)، ص ٥٩- ٦٠.

المصـادر لجوانب كثيرة من أحوال المنطقة الدينيـة، والسياسية منذ دخول النصرانية إلى المنطقة وحتى ظهور الإسلام. لكن الحق يقال فإن تركيز هذه المصادر انصب على وصـف أوضاع النصرانيـة بالمنطقة وعلاقتها بالقوى السياسيـة ذات العلاقة بالمنطقة حتى ظهور الاسلام.

والحق أن نجران حظيت باهتمام متصاعد في البحث التاريخي الحديث فظهرت أكـثر من دراسـة جادة أولـت المصادر غـير العربية المكتوبـة بالسريانيـة، واليونانية، واللاتينيـة، والحبشية اهتماماً لافتـاً وجعلت منها مواد رئيسة في مصادرها الأولية. إلا أن ثمة إشكالية ظلت صفة مشتركة بين هذه الدراسات، فقد أولت معظم تلك الدراسات معظـم اهتمامهـا لمسألتـين رئيستين أولها عن جدليـة وصول النصرانيـة إلى نجران، وثانيهـا عـن حادثة اضطهاد نصـارى نجران المعروفـة تاريخياً بـ "حادثـة الاخدود"، وقليـل منها ما تحدث عن نجران أثناء وجـود الحملة الحبشية[1]. ورغم كثافة النقاش

(١) ومـن الدراسـات العربية على سبيل المثال "ديانة شهـداء نجران" لـ أ.د. "عائشة ابو الجدايل"، ورسالة ماجستـير لـ "كوثر محمد سعيـد علي" بعنوان "الاخدود بين المصادر العربيـة و المصادر القديمة" اللتان ركزتـا على بحث الهوية الدينية لشهداء الأخـدود. كما قدمت أ.د. أبو الجدايل دراسة أخرى عن "قوانين جريجنتيوس أو القوانين الحميرية، دراسة عن الائتلاف و الاتفاق مع الشريعة الاسلامية". و خصص د. عصـام سخنيني بابـاً مستقلاً عن "محرقة المسيحيين في نجران" في كتابه "مقاتل المسيحيين"، ومؤخراً قـدم أ.د. عبدالعزيز رمضـان مقالاً بعنوان "دخـول المسيحية إلى نجران في روايـات المصادر البيزنطية والمسيحية الشرقية" درس فيه مسألة أصل النصرانية وتاريخها المبكر في نجران في ضوء روايات المصادر البيزنطية (اليونانية)، والسريانية، والحبشية.

أمـا الدراسات المنشورة باللغـة الإنجليزية فكثيرة ومنها كتاب لـ أ.د. عرفـان شهيد عن "شهداء نجران: وثائـق جديـدة" (The Martyrs of Najrān: New Documents) والتـي تحـدث فيهـا عـن المصـادر النصرانيـة التي أرّخت لحادثـة اضطهاد نصارى نجران، ومقالة له بعنـوان "بيزنطة في جنوب الجزيرة العربيـة" (Byzantium in South Arabia)، ودراسـة " الروايـة اليونانيـة للشهـداء النجرانيـين" (On the Greek Martyrium of the Negranites) لـ "جـورج هكسلي" (George Huxley)، ومقال لـ "فاسيليوس كريستيدس" (Christides Vassilios) عـن "الحرب الحميريـة- الإثيوبية والاحتلال الإثيوبـي لجنوب شبه الجزيرة العربيـة في أعمال جريجنتوس" (The Himyarite-Ethiopian war and the Ethiopian occupation of South Arabia in the acts of Gregentius)، ودراسـة حديثـة نسبياً لـ "نوربرت نيبس" (Norbert Nebes) عن "شهـداء نجران ونهاية مملكة حمير" (The Martyrs Of Najrān And The End Of The Himyar).

انظر:

ابـو الجدايل، عائشة سعيـد، "قوانين جريجنتيوس أو القوانين الحميريـة، دراسة عن الائتلاف و الاتفاق مـع الشريعـة الاسلاميـة"، مجلة العصـور، مجلـد ١٣، ج ٢، (٢٠٠٣م)، صـ ٢٥ – ٦١. ولنفس الباحثة، "ديانـة شهـداء نجران قـراءة جديدة للمصادر الأولية"، الكويت: حوليـات الآداب والعلوم الاجتماعية، الحوليـة ٢٥ (الرسالة ٢٢٢)، (١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م)، صـ ٥٥. سخنيني، عصام، مقاتل المسيحيين، نجران ٥٢٣م والقدس ٦١٤م وصفحات أخرى من تاريخ التنكيل اليهودي بهم، (عمان، المؤسسة العربية للدراسات والنشـر، ٢٠١٣م)، صـ ٧٣ – ١٢٧. علي، كوثر محمـد سعيد، "الاخدود بين المصـادر العربية و المصادر القديمـة"، (رسالـة ماجستير مقدمـة لنيل درجة الماجستير مـن جامعة أم القـرى، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م)،

في المسألتين - أي وصول النصرانية وقصة الأخدود – وتعدد المصادر الأولية، إلا أنهما ظلتا أسئلة مفتوحة تبحث عن إجابة وتستحق مزيداً من البحث في نظر الباحثين الذين ذهب بعضهم إلى التشكيك في هوية من وقع عليهم الاضطهاد في الأخدود[١].

كل ما سبق يثير أسئلة تبحث عن إجابة وفي مقدمتها أحوال الطائفة النصرانية في نجران بعد حادثة الاخدود حتى ظهور الإسلام كما صورتها المصادر السريانية. وثاني هذه الأسئلة يتمثل في مدى قيمة الرواية السريانية في ضوء المصادر الأخرى في ذات المسألتين، أي أصل النصرانية في نجران والسياق التاريخي لحادثة الأخدود. وهو ما سيسعى الباحث لإعادة قراءته بمنهجية مقارنة تعتمد على التسلسل الزمني وربط الأحداث بالأوضاع السياسية والاقتصادية والدينية في الجزيرة العربية والشرق الأدنى القديم. لذلك انقسمت الدراسة إلى خمسة مباحث رئيسة تبدأ بالتعريف بالمصادر، ثم تتبع تاريخ النصرانية في نجران من البدايات حتى الاضطهاد الذي ستتناوله في مبحث خاص، يلي ذلك دراسة تاريخ النصرانية في المرحلة الزمنية التي أعقبت حادثة الاضطهاد، ثم تعرج الدراسة على تاريخ اليهودية في المنطقة في ضوء المصادر السريانية المتاحة في هذه الدراسة.

ثانياً: التعريف بالمصادر

بدأ اهتمام المصادر السريانية بنجران منذ الربع الأول للقرن السادس الميلادي، وهي حقبة مبكرة للغاية أي منذ المرحلة التي وقعت فيها المحرقة. وهذا ما يجعل من المفيد عرض نبذة عن أهم هذه المصادر قبل الولوج إلى صلب الدراسة حيث سينحصر النقاش هنا عن المصادر الأولية الأصيلة، أو تلك التي تفردت بمعلومات نقل عنها من جاء بعدها.

وتكاد تكون رسالتي "شمعون أسقف بيت أرشام" (Simeon of Bêth Arshām) الأقدم في هذا الباب. وشمعون هذا رجل دين نصراني من اتباع المذهب اليعقوبي (Ja-cobite) أو مذهب الطبيعة الواحد، عاش في النصف الأول من القرن السادس الميلادي

ص ٩٦- ٥٨٢. رمضان، عبدالعزيز محمد، "دخول المسيحية إلى نجران في روايات المصادر البيزنطية والمسيحية الشرقية"، دراسة نشرها أ.د. غيثان بن ابن جريس ضمن: القول المكتوب في تاريخ نجران، الجزء الثامن عشر، (الرياض، مطابع الحميضي، ١٤٤١هـ، ٢٠٢٠م، ط١)، ص ٦٢.

Christides, Vassilios, "The Himyarite-Ethiopian war and the Ethiopian occupation of South Arabia in the acts of Gregentius (530 A.D.)", ***In: Annales d'Ethiopie***. Volume 9, (1972). pp. 115146-. Shahīd, ibid, pp.17 -276. Shahîd, Irfan. "Byzantium in South Arabia", ***Dumbarton Oaks Papers / Dumbarton Oaks Center for Byzantine Studies***, (1979), pp. 2394-. Huxley, George Leonard, "On the Greek" Martyrium" of the Negranites." ***Proceedings of the Royal Irish Academy. Section C: Archaeology, Celtic Studies, History, Linguistics, Literature*** (1980): pp. 4155-. Nebes, Norbert, "The Martyrs Of Najrān And The End Of The Himyar: On The Political History Of South Arabia In The Early Sixth Century", ***The Qurʾān in Context***, (Brill, 2009), pp. 2560-.

(١) ابو الجدايل، ديانة شهداء نجران، ص ٥٥. كوثر علي، الاخدود، ص ٥٨٥.

وكان أسقفاً لبلدة بيت أرشام الواقعة على نهر دجلة بالقرب من مدينة سلوقية التي كانت تحت الحكم الفارسـي الساساني في عصره[١]. وقد حفظت المصادر السريانية المبكرة مثـل تواريخ "يوحنا الآسيـوي" (John of Ephesus)، و"زكريـا الفصيح" (Zacharias of Mytilene)، و"الراهـب الزوقنينـي" (Zūqnīn Monastery) نص الرسالة الأولى[٢]. أمـا الرسالـة الثانية فقـد أخرجها للعلن "عرفان شهيـد" في كتابه "شهداء نجران" مطلع سبعينات القرن المنصرم[٣]. وتتشابه كثيراً مع الرسالة الأولى من حيث المضمـون وتسجيل شهادات الناجين من المحرقة، إلا أنها تتضمن معلومات إضافية عن ضحايـا المحرقة سواء من عامة النصارى النجرانيين أو رجال الكنيسة الذين قضوا في المحرقة.

تنبـع أهميـة رسالتي الأرشمي إلى أنهما دُوِّنتا بُعيـد حادثة الأخدود بزمن قليل، إضافـة إلى أن السبـب في تدوينهما يعود إلى المحرقـة نفسها، حيث تضمنت الرسالتين تسجيـل شهـادات عيان لنصارى نجرانيـين نجو من المحرقة، فكتـب الأرشمي رسالته الأولى ثـم أعقبهـا برسالة ثانيـة منددا بما فعلـه الملك الحميري، وحاثـا ملوك العالم النصـراني حينهـا بالتدخـل لحماية نصارى "البـلاد الحميرية" على حـد تعبيره[٤]. وتحـوي الرسالتين معلومات ثمينة عن طبيعة المجتمع النصراني في نجران قبيل وأثناء الحادثـة من حيـث طقوس العبـادة، والمعتقدات اللاهوتيـة، والمؤسسة الدينيـة. إلا أن التعامـل مع محتـوى الرسالتين ينبغي أن يكـون بحذر كونهما تنطلقـان من وجهة نظر مذهبيـة يعقوبيـة منوفيزتيـة (Monophysitism) بحتة لتفسير الوجـود النصراني بنجـران. ذلـك أن طبيعة الكتابـة التاريخية في القـرن الخامس الميـلادي تغلب عليها العاطفة الدينية أكثر من الموضوعية، إضافة إلى أن أحد أسباب كتابتها تهييج العاطفة الدينية في العـالم النصراني للضغط على السلطة السياسية حتى تتخذ موقفاً عسكرياً حاسماً تجاه الملك الحميري كما سيتضح أدناه.

وثـاني أقـدم هذه المصادر وأهمها هو "كتاب الشهداء الحميريين" (The Book of The Himyarites) لمؤلف مجهول، ويتكوّن من مقدمة وتسعة أربعين فصلاً فُقد منها أربعـة وعشرين فصلاً، والمؤسف أن ما فقد منها تضمـن معلومات مفصلة عن التاريخ

---

(١) أفرام، أغناطيوس، اللؤلـؤ المنثـور في تاريـخ العلـوم والآداب السريانيـة، (حلـب، سوريـا، دار ماردين، ١٩٩٦م)، ص ٢٥١- ٢٥٢.

(2) *Zachariah of Mitylene*, ***The Syriac Chronicle known as that of Zachariah of Mitylene,*** Transl. Hamilton, F. & Brooks, E. (Methuen & Company, 1899), pp. 192- 203. Anonymous, ***The Chronicle of Zuqnīn***, ***Parts III and IV: AD 488-775***: Translated from Syriac with Notes and Introduction, by. Amir Harrak, (PIMS, 1999), pp. 78- 85.

(3) Shahīd,ʿIrfan, ***The Martyrs of Najrān: New Documents,*** (Bruxelles: Soc. des Bollandistes, Bd. Saint-Michel, 1971), pp. 43- 64.

(4) Zachariah of Mitylene, ibid, pp. 192- 203. Anonymous, ibid, pp. 78- 85. Shahīd, ibid, pp.

المبكر لليهودية والنصرانية إلى نجران[١]. وقد خرج الكتاب لأول مرة عام ١٩٢٤م بتحقيق المستشرق السويدي "أكسل مومبرج" (Axel Moberg)[٢]، لكن الكتاب حظي بدراستين لاحقة عن طريق "أغناطيوس يعقوب" و"عرفان شهيد" تضمنتا استدراكات هامة على نص المخطوط، ونقاشا على هوية مؤلف الكتاب. إذ يتفق يعقوب وعرفان شهيد أن "شمعون الأرشمي" هو من ألف الكتاب[٣]، على عكس مومبرج الذي يزعم أن "سرجيس الرصافي" (Sargis of Resafa) كان مؤلف كتاب الحميريين[٤]. ومن الواضح أن كتاب الحميريين قد دُوِّن عقب انتصار الأحباش على مملكة حمير واستقرار الأمور لهم هناك مما يعني أنه مصدر مبكر للغاية، ودلالة ذلك حديثه عن الأعمال التي قام بها الأحباش في نجران في سبيل إحياء الوجود النصراني كما سيتضح في حينه[٥]. وقد اعتمد المؤلف على مصادر شفهية قدمت من نجران وأحدهم ذكره باسم "عبدالله بن أفعو" والذي نقل إليه قائمة بأسماء الشهداء مطابقة إلى حد بعيد تلك التي رواها الأرشمي[٦]. ورغم كل ما سبق فإن هذا المصدر يزودنا بتفاصيل غاية في الأهمية في مقدمتها طبيعة التنظيم الكهنوتي للمؤسسة الدينية النصرانية في نجران قبل وبعد غزو الأحباش، ودُوُر العبادة، إضافة إلى توضيح حجم الوجود اليهودي في نجران. لكن ذلك لا يعني الأخذ بكل ما رواه مؤلف الكتاب على عواهنه، ذلك أن الروح المذهبية تبدو لغة واضحة من خلال عبارات المؤلف ونسبه عبارات دينية ذات خلفية "يعقوبية" واضحة[٧].

ومن المصادر التي لا غنى عنها في هذه الدراسة "تاريخ سعرت" (The Chron-icle of Seert)، لمؤلف نسطوري مجهول عاش بين القرنين التاسع والعاشر الميلاديين/ الثالث والرابع الهجريين تقريباً[٨]. ورغم أن أصل مخطوط هذا التاريخ كُتب بالعربية إلا أن ثمة أسباب تجعل من الضرورة ضمه لقائمة المصادر السريانية المعتمدة في هذه الدراسة[٩]. فقد اتضح لمن درس "تاريخ سعرت" أن مؤلفه نقل كثيراً من تواريخ سريانية

---

(١) يعقوب، أغناطيوس يعقوب الثالث، الشهداء الحميريين في الوثائق السريانية، (دمشق، المجلة البطريركية، ١٩٦٦م)، ص ٩٧- ٩٨.

(2) Anonymous, ***The Book of the Ḥimyarites***, Ed. And Transl. Axel Moberg, (Lund, Sweden: CWK Gleerup, 1924), pp. xcix – cxlvi.

(٣) يعقوب، المرجع نفسه، ١٠١.

Shahīd, ibid, pp. 132- 135, p. 169.

(4) Anonymous, The Book of the Ḥimyarites, p. lxvii.

(٥) يعقوب، المرجع نفسه، ص٩٩.

(6) Anonymous, ibid, p. lxiv.

(٧) كوثر علي، الاخدود، ص ٣٦٩.

(8) Wood, Philip**, *The Chronicle of Seert, Christian Historical Imagination in Late Antique Iraq***, (Oxford University Press, 2013), p 3.

(9) Scher, Addai, ***Histoire Nestorienne Inédite:(Chronique de Séert),*** (Paris, Brepols, Paris, 1950), p 331.

ميكـرة بعضها مفقـود وتعود إلى القرن السابـع على أقل تقدير[١]. بـل إن "مومبرج"، و"عرفان شهيد" توصلا إلى نتيجة مفادها أن مؤلف تاريخ سعرت المجهول استقى قصة اعتناق التاجر النجـراني "حيّان" للنصرانية على الأرجح من الجزء المفقود من كتاب الحميريـين خاصـة إذا ما علمنا أن "حفصة" ابنة أو حفيدة "حيّان" يرد ذكرها كثيرا في كتاب الحميريين كأحد أبطال قصة الاستشهاد[٢]، وذات الحال ينطبق على استخدم مفردة "مسروق" للإشارة إلى اسم الملك الحميري الذي ارتكب حادثة الاضطهاد[٣].

والحـق أن ذلـك رأي قريـب للصحة إذ نجـد القصة تتكرر بكامـل تفاصيلها في "أخبار فطاركة كرسي المشرق من كتاب المجدل" لماري بن سليمان الذي يعد من أهم المصـادر السريانيـة التي ترد في هذه الدراسـة رغم أنه ألف في زمـن متأخر نسبيا – القرن الثاني عشر الميلادي/ السادس الهجري –[٤]. إلا أن أهميته هنا تكمن في حفظه للرواية السريانية حول وصول النصرانية إلى نجران والذي نقله على ما يبدو من خلال الجـزء المفقود في "كتاب الشهداء الحميريـين". ذلك أنه يورد نفس القصة التي وردت في "تاريـخ سعرت" دون تغيير يستحق الذكر. إلا أن ثمة إشكالية تواجه الباحث في هذا الجـزء من "كتاب المجدل" تحديدا فقد وصلنا بنسختين تتضمنان كثيرا من الاختلاف والتشابه في آن معا، حيث وصل إلينا متن الكتاب في النسخة الأولى كاملا بترجمة "صليبا بن يوحنا الموصلي"، أما في الثانية فقد قام "عمرو ابن متى الطيرهاني" باختصار متن الكتـاب وترجمته إلى العربية[٥]. إلا أن مسألـة مهمة يجب أخذها في الاعتبار هنا وهي وجـود تبايـن حقيقي بين نسختي المجـدل، وأحد اسباب ذلك اعتمـاد مترجمي الكتاب على نسخ مختلفة لأصل الكتاب وهو ما يعترف به ناشر النسخة التي ترجمها صليبا بن يوحنا حينما أشار في مقدمة الكتاب إلى اعتماده على نسخة "سقيمة"[٦].

وبعد كل ما سبق، يبدو واضحاً أنه على الرغم من الاهتمام الذي أبداه المؤرخون السريـان بنجران، إلا ذلك الاهتمام انحصر في معظمه على تسليط الضوء على أحوال النصرانيـة في المنطقة عبر مراحلهـا التاريخية المتعاقبة. ومن المهم هنا التنويه إلى أن هذه الدراسة لا تطرح المصادر السريانية كبديل لمصادر التراث الإسلامي كما قد يظن

---

(1) Wood, Ibid, p3.

(٢) يـرد اسم "حيّان" بحنان وحفصة بحبصة في بعض المصـادر وهو ما يبدو أنه تصحيف وقد آثرنا اعتماد الاسم الأكثر شيوعاً في العربية.

(3) Anonymous, The Book of the Ḥimyarites, p. lv. Shahīd, Irfan, ***Byzantium and the Arabs in the Fifth Century***, (Dumbarton Oaks, 1989), pp. 361- 367 .

(٤) ابـن سليمان، ماري، أخبـار فطاركة كرسي المشرق من كتاب المجدل، ترجمـة: صليبا بن يوحنا، (روما، مطبعة رومية الكبرى، ١٨٩٩)، ص ٣٣.

(٥) سركيس، يوسف بن إليان، معجم المطبوعات العربية والمعربة، (مصر، مطبعة سركيس، ١٣٤٦ هـ، ١٩٢٨ م)، ج٢، ص ١٢١٦، ١٢٥٥.

(٦) المجدل لماري بن سليمان، ملاحظة الناشر بعد الغلاف (بدون ترقيم).

البعض، بل إن الهدف الرئيسي هنا البحث عن معلومات إضافية وجديدة تساهم في خدمة المحتوى التاريخي لمنطقة نجران خلال مرحلتين أولهما قبل المحرقة وثانيهما بعد المحرقة حتى ظهور الإسلام.

ثالثا : جذور النصرانية في نجران : من التبشير حتى الانتشار

بدأ اهتمام المصادر السريانية بنجران منذ المحاولات الأولى لنشر النصرانية في هذا الإقليم البعيد عن مراكز النصرانية الكبرى في الهلال الخصيب. ففي كتاب المجدل لابن متى رواية تشير إلى إرسال "مار ماري" أحد تلاميذ السيد المسيح – عليه السلام – بعثة تنصيرية إلى "...ساكني الخيام ونجران وجزائر بحر اليمن ..."[١]. وهي رواية لا يمكن الركون إليها إذ لا تخلوا من الطابع الأسطوري. بل إن نفس المؤلف يعود في موضع آخر من كتابه يشير إلى "... تنصّر أهل نجران..." أيام الملك الفارسي "يزدجرد الأول" (٣٩٩– ٤٢٠م)[٢]. وهي الرواية التي نجدها أكثر وضوحاً في النسخة الأخرى من كتاب المجدل التي تحدثت عن وصول النصرانية إلى نجران في نفس الحقبة عن طريق تاجر اسمه "...حيّان، خرج إلى القسطنطينية واجتاز بالحيرة وشاهد جموع النصارى وحسن إيمانهم فتنصّر ولما عاد أعمد أهله وتنصر عل يده خلق كثير..."[٣].

وراوية "المجدل" هنا تكاد تكون مستنسخة تماماً من "تاريخ سعرت" الأقدم الذي أورد القصة بنفس التفاصيل وإن أشار إلى قيام "حيّان" بنشاط تنصيري أوسع في جنوب جزيرة العرب[٤]. ومن حيث المبدأ تبدو قصة "حيّان" أقرب للواقع منها إلى الأسطورة، فالقصة هنا لم تتضمن ما يشبه تلك المعجزات والحكايات الأسطورية التي حفلت بها كتب سير القديسين والقصص الديني. والملاحظ أن القصة تربط انتشار النصرانية في نجران بالعامل التجاري وهذا ما يقوي صحتها. فقد كانت نجران ذات أهمية اقتصادية كبيرة وخاصة على الصعيد التجاري، إذ تقع على طريق تجارة البخور والتوابل وقد عرف عن أهلها اشتغالهم بالتجارة في عصور ما قبل الإسلام. فلا غرابة أن يرتحل أحد ابنائها إلى بلاد الروم وفارس لتسويق بضائع وجلب اخرى.

أما الزمن الذ وقعت فيه هذه القصة فثمة جدل بين الباحثين حول هوية "يزدجرد" فيما إذا كان "يزدجرد الأول" (Yazdegerd I) الذي حكم بداية القرن الخامس الميلادي، أو "يزدجرد الثاني" (Yazdegerd II) الذي حكم بين عامي ٤٣٨– ٤٥٧م. وقد رجح عدد من الباحثين مثل "عرفان شهيد" ، و "جواد علي" ، و "ابوجودة" وغيرهم

(١) ابن متى، عمرو، أخبار فطاركة كرسي المشرق من كتاب المجدل، (روما، ١٨٩٦م)، ص١.
(٢) ابن متى، فطاركة المشرق، ص ٢٨.
(٣) ابن سليمان، المجدل، ص ٣٣.
(4) Scher, ibid, p. 331.

أن قصـة "حيّان" تلك وقعت أيام "يزدجـرد الأول"[١]، بينما لا يتفق معهم "كريستيان روبـن" (Christian Robin) الـذي يرجـح وقـوع قصـة "حيّـان" في عهـد "يزدجرد الثـاني"[٢]. لكـن الدراسة الحالية تذهـب إلى ترجيح الـرأي الأول إذ أن مؤلف "تاريخ سعرت" المجهول أشار إلى "يزدجرد" فقط ولم يميزه عن "يزدجرد الثاني بن بهرام"، إضافة إلى أن هذا المؤرخ تحدث بعد قصة "حيّان" مباشرة عن وفاة "يزدجرد" وحزن النصـارى عليه بسبب ما ابداه من تسامح كبير تجاههم، وهي واحدة من أبرز السمات التـي سجلهـا المؤرخون عن "يزدجـرد الأول"[٣]. على أنـه من المهم استـدراك مسألة هامـة أشـار إليها "عرفان شهيـد"، وهي أن قصـة اعتناق "حيّـان" للنصرانية سبق "مجمـع أفسوس الكنسـي" (Council of Ephesus) عام ٤٣١م، و"مجمع خلقدونية" (Council of Chalcedon) عـام ٤٥١م[٤]، أي قبل الانشقاق الكنسي وظهور المذهبين النسطـوري (Nestorian) والمونوفيزتـي (اليعقوبـي واليولياني لاحقـا)، وهذه مسألة غاية في الأهمية عند الحديث عن الجانب العقائدي لنصارى نجران.

لكـن مـا سبـق لا يكفي للجزم بصحـة خبر وصـول النصرانية إلى نجـران، إذ تقـدم المصادر الموازية سواء النصرانية أو الإسلاميـة سرديات أخرى تحوي كثيرا من الاختلاف. فمصادر التاريخ الكنسي البيزنطية تقدم هي الأخرى رواياتها التي لا تخلوا من الاضطراب والمبالغة رغم أنها أقدم من الرواية السريانية. فقد تحدث "يوسابيوس القيصـري" (Eusebius of Caesarea) عـن بعثـة تنصيريـة قـام بهـا "بانتينـس" (Pantaenus) رئيـس مدرسـة الاسكندرية اللاهوتية إلى بلاد الهنـد فوجد أن بعض أهلهـا قـد دخل في ديـن المسيح بالفعل ووجـد لديهم نسخة من "إنجيـل متّى" (Gospel of Matthew) باللغـة العبرية حيث أخبره بعضهم أن منصّرا اسمه "برتلماوس" (Bartholomew) جلبـه إليهم[٥]. وقد ناقش أكثر من باحـث هذه الرواية التاريخية فوجـدوا أن "روفينوس الأكويلي" (Rufinus of Aquileia)، "وجيروم" (Jerome)،

---

(1) Shahīd, Byzantium and the Arabs, p. 363.

علـي، المفصـل، ج٢١، ص ١٩٠. أبو جودة، صلاح أبو جودة اليسوعي، "أضواء على المسيحية في جنوب الجزيرة العربية"، مجلة المشرق، عدد١، يناير ١٩٩٧، ص ١٠٢، هامش ٥٤.

(2) Robin, Christian Julien, "La Persécution Des Chrétiens De Nagrān Et La Chronologie Chimyarite", ***ARAM Periodical***, 11-12, (1999-2000), p. 67.

كوثر علي، الأخدود، ص ١٤٠.

(٣) كريستنسـن، آرثـر، إيران في عهـد الساسانيين، ترجمة: يحيى الخشاب، (بـيروت، دار النهضة العربية، د.ت)، ص ٢٥٥- ٢٥٨.

(4) Shahīd, ibid, p. 363.

(5) Eusebius, ***The Ecclesiastical History***, Transl. Kirsopp lake, (London, William Heinemann-New York , G.P. Putnam's Sons, n.d), p. 463.

و"سقـراط الدارسـ" (Socrates Scholasticus) اللذيـن تحدثـوا عـن نفس البعثة أسموا هذه الأرض "ببلاد الهند القريبة" أو "السعيدة"، وهو ما يقّوي الرأي القائل أن المؤلـف كان يقصد على الأرجـح جنوب بلاد العرب[١]. وعلى الرغم من أهمية النتيجة التـي توصل إليها هؤلاء الباحثين، إلا أن هـذه الرواية يبدو عليها الغموض والاضطراب فهي لم تشر إلى شيء يخص نجران تحديداً مما يجعل من الصعب الركون إليها.

أمـا المـؤرخ الكنسي الآخـر "فيلوستورغيوسـ" (Philostorgius) فيقدم رواية أكثر وضوحـا يزعم فيها أن الامبراطـور البيزنطي "قنسطانطيوس الثاني" (Constantius II) أرسـل "ثيوفيل الهندي" (Theophilus of India) في العام ٣٥٦م على رأس بعثة تنصيرية إلى "بلاد سبأ" فاستقبله ملكها ورحب به وحصل على إذنه لتأسيس ثلاث كنائس في عدن، وظفار، ونجران التي اقبل أهلها على اعتناق الإيمان الصحيح - يقصد النصرانية - [٢].

ويميل عدد من الباحثين المحدثين إلى قبول الرواية السريانية على حساب نظيرتها البيزنطيـة، إذ يـرى "عرفان شهيد" و "أبو جودة" تحديداً أن هذه البعثات التنصيرية لم تنجح في تأسيس وجود حقيقي ومؤثر للنصرانية في جنوب جزيرة العرب[٣]، وهو ما يتفـق معه "أثناسيوس باباثناسيـو" (Athanasios N. Papathanassiou) الذي يرى أن الروايـة البيزنطيـة لم تكـن أكثر من مجرد محاولة غير ناجحـة لإيجاد موطئ قدم حقيقي للنصرانية في جنوب جزيرة العرب[٤].

لم تكـن الروايتـين السريانيـة والبيزنطيـة الوحيدتـان في دعاوى نشـر النصرانية في نجران، فللأحباش روايتهم أيضا التي كان بطلها "الأسقف أزكير" (The Priest Azqir) الـذي تزعـم أنه أسس كنيسـة في نجران ونجح في تنصير ثمانيـة وثلاثين شخصاً من أهل نجران قبل أن يلقى حتفه لاحقا على يد ملك الحميريين[٥]. ولم يستبعد "بيستون" (Beeston) صحـة هـذه الرواية في ظل وجود نفـوذ فعلي للأحباش في المنطقة سبق الغـزو الحبشـي بمرحلة من الزمـن لكنها في وجهة نظره ليست سـوى حادثة منعزلة لا أثـر لها في السياسة الدوليـة وقت حدوثها[٦]. والواضح لدينا مـن خلال قراءة أحداث

---

(١) أبو جودة، أضواء على المسيحية، ص ٨٩. رمضان، دخول المسيحية إلى نجران، ص ٣٧.

(2) Philostorgius, ***Philostorgius: Church History***, Transl. Philip Amidon, (Atlanta, Society of Biblical Lit, 2007), p. 42.

(٣) أبو جودة، أضواء على المسيحية، ص ٩٣.

Shahīd, Byzantium and the Arabs, p. 371.

(4) Papathanassiou, Athanasios N., "Christian missions in pre-Islamic South Arabia", ***International Orthodox Missions Consulation***, (Moscow, 1993), p. 136.

(5) ***The Book of the Saints of the Ethiopian Church***, Transl. E. A. Wallis Budge, (Cambridge: University Press, 1928), p. 159.

(6) A.F.L. Beeston, The Martyrdom of Azqir, ***Proceedings of the Seminar for Arabian Studies***, 2005. JSTOR, 113-118, p 117.

المحرقــة التــي حدثت لاحقاً أن ثمة رجل دين حبشي ضمن ضحايا المحرقة مما يؤيد ما ذكره "بيستون" حول طبيعة النفوذ الحبشي في المنطقة قبل أن يغزوها الأحباش[١].

وكل مــا سبــق من روايات نصرانية على اختلافها لا يغني عن الرجوع إلى الرواية الإسلامية حول قصة وصول النصرانية إلى نجران، والتي يسندها "محمد بن اسحاق" إلى "وهب بن منبهٍ الأبناوي"[٢]، و"محمد بن كعب القرضي"[٣]، و"بعض أهل نجران"، ومفادهــا أن رجــلاً زاهــداً اسمه "فيميون" قــدم من بلاد الشــام إلى نجران وابتنى خيمة يتعبد فيها لله، و كان أهل نجران وقتها أهل وثنية يعبدون نخلة طويلة، و كان عدد مــن نبلائهم يرسلــون أبنائهم إلى "ساحر القرية العظمــى" أي نجران حتى يعلمهم السحــر وحــدث أن أحدهم ويقال لــه "عبدالله بن الثامر" مــر بـ"فيميون" وهو يصلي ويتعبــد لله فأعجبته صلاتــه جعل يجلس إليه حتى أسلم ودخــل في دينه وتعلم فرائضه حتى فقه في الدين[٤].

وتستمــر الرواية بطابع لا يخلــو من السرد الأسطوري و المبالغة حيث يرد فيها أن "ابن الثامر" جهر بدعوة أهل نجران و"...جَعَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الثَّامِرِ إِذَا دَخَلَ نِجْرَانَ لَمْ يَلْقَ أَحَدًا به ضُرٌّ إِلَّا قَالَ لَهُ يَا عَبْدَ اللَّه، أَتُوَحِّدُ اللَّهَ وَتَدْخُلُ فِي دِينِي وَأَدْعُو اللَّه فَيُعَافِيكَ مِمَّا أَنْتَ فِيهِ مِنْ الْبَلَاءِ ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيُوَحِّدُ اللَّه وَيُسْلِمُ، وَيَدْعُو لَهُ فَيُشْفَى، حَتَّى لَمْ يَبْقَ

---

(1) Anonymous, The Book of the Ḥimyarites, pp. ex, xci.

يعقوب، الشهداء الحميريين، ص ١١٩.

(٢) وهب بن منبّه بن كامل بن سيج بن ذي كبار من ذمار واختلف في أصله فمنهم من قال أنه فارسي من سلالة الأبناء الفرس، ومنهم من قال أنه من اصول يهودية يمنية من حمير. وقد حظي وهب بتقدير المؤرخين وعلماء الحديــث فعدّوه تابعي جليل ومحدث ثقة وإخباري مشهور، إلا أن الملاحظ عليه أنه يكثر من الاسرائيليات في مروياتــه، ولــه كثير من الكتب التي لم يصل منها إلا ما رواه مؤرخي الإسلام مثل الطبري، وابن هشام، وابن اسحــاق وغيرهم، اختلــف في وفاته لكن الأرجح أنه مات قرابة العام ١١٠هــ. البخاري، محمد بن إسماعيل بــن إبراهيم بن المغــيرة، التاريخ الكبير، (حيدر آباد الدكن، دائرة المعــارف العثمانية)، ج٨، ص ١٦٤. ابن حبــان، ، محمد بن حبان بن أحمــد ، الثقات، (حيدر آباد الدكن، الهند، دائرة المعارف العثمانية، ١٣٩٣ هـ، ١٩٧٣م)، ج٥، صــ ٤٨٧. ابــن عساكر، علي بن الحسن بن هبــة الله، تاريخ دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥ هـ، ١٩٩٥ م)، ج٦٣، ص ٣٦٦.

(٣) أبــو حمزة محمد بــن كعب بن حبان المدني مولداً و منزلاً، القرضي نسبــاً فأصله يهودي من بني قريضة، ولــد أواخــر خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه. برع في تفسير القرآن وعلم الحديث والسير والأخبار ونــال ثقــة علماء الحديث. اختلف في وفاته ما بين ١٠٨هـ و ١١٧هــ و ١١٨هـ. ابن سعد، أبو عبد الله محمد بــن سعــد بن منيع، الطبقات الكــبرى، القسم المتمم لتابعي أهل المدينة ومــن بعدهم، تحقيق: زياد محمد منصــور، (المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم، ١٤٠٨هــ)، ص ١٣٤. البخاري، التاريخ الكبير، ج١، ص ٢١٦. ابن حبان، الثقات، ج٥، ص ٣٥١.

(٤) ابن هشام، عبد الملك، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، (مصر، مكتبــة ومطبعــة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٣٧٥هــ، ١٩٥٥م)، ج١، ص ٣١- ٣٤. الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك المعروف بتاريخ الطبري، (بيروت، دار التراث، ١٣٨٧هـ، ١٩٦٧م)، ج٢، ص ١٢١- ١٢٢.

بِنَجْـرَانَ أَحَدٌ بـه ضُرٌّ إِلَّا أَتَاهُ فَاتَّبَعَهُ عَلَى أَمْرِه، وَدَعَا لَهُ فَعُـوفِيَ حَتَّى رُفِعَ شَأْنُهُ إِلَى مَلِك نَجْـرَانَ، فَدَعَـاهُ فَقَالَ لَهُ: أَفْسَدْتَ عَلَـيَّ أَهْلَ قَرْيَتِي، وَخَالَفْتَ دِينِي وَدِيـنَ آبَائِي، لَأُمَثِّلَنَّ بِـكَ، قَالَ: لَا تَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ. قَالَ: فَجَعَلَ يُرْسِلُ بِهِ إِلَى الْجَبَلِ الطَّوِيلِ فَيُطْرَحُ عَلَى رَأْسِه فَيَقَـعُ إِلَى الْأَرْضِ لَيْسَ بِهِ بَأْسٌ، وَجَعَلَ يَبْعَثُ بِهِ إِلَى مِيَاهِ بِنَجْرَانَ، بُحُورٍ لَا يَقَعُ فِيهَا شَيْءٌ إِلَّا هَلَـكَ، فَيُلْقَى فِيهَـا فَيَخْرُجُ لَيْسَ بِهِ بَأْسٌ. فَلَمَّا غَلَبَهُ قَالَ لَـهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الثَّامِرِ: إِنَّكَ وَاللَّهِ لَنْ تَقْدِرَ عَلَى قَتْلِي حَتَّى تُوَحِّدَ اللَّهَ فَتُؤْمِنَ بِمَا آمَنْتُ بِه، فَإِنَّكَ إِنْ فَعَلْتَ ذَلِكَ سُلِّطْتَ عَلَـيَّ فَقَتَلْتَنِـي. قَالَ: فَوَحَّدَ اللَّهَ تَعَالَى ذَلِكَ الْمَلِكُ، وَشَهِـدَ شَهَادَةَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الثَّامِرِ، ثُمَّ ضَرَبَهُ بِعَصًا فِي يَدِه فَشَجَّهُ شَجَّةً غَيْرَ كَبِيرَةٍ، فَقَتَلَهُ، ثُمَّ هَلَكَ الْمَلِكُ مَكَانَهُ، وَاسْتَجْمَعَ أَهْلُ نَجْـرَانَ عَلَـى دِينِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الثَّامِرِ، وَكَانَ عَلَى مَا جَاءَ بِه عِيسَى بن مَرْيَمَ مِنَ الْإِنْجِيلِ وَحُكْمِـه، ثُمَّ أَصَابَهُـمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ أَهْلَ دِينِهِـمْ مِنَ الْأَحْدَاثِ، فَمِـنْ هُنَالِكَ كَانَ أَصْلُ النَّصْرَانِيَّةِ بِنَجْرَانَ..."[١].

وفي رأي "انطونيوس غويـدي" (Antonius Guidi) و "مومبرج" و "أبو جودة" فـإن هذه الروايـة تتشابه في كثير مـن عناصرها الرئيسة مع نظيرتهـا السريانية مما يعنـي في رأيهم أن الروايـة الإسلامية هنا أستُقيت من موارد نسطورية نصرانية أقدم، ويقصـدون بذلك على الأرجـح قصة "التاجر "حيّان"[٢]. بينمـا يشكك "ابن جريس" في روايـة ابـن اسحاق مرجحـا وصول النصرانيـة إلى نجران قبل أن وقـوع قصة ابن "الثامر" و"فيميون" بوقت طويل[٣].

وفي رأي الباحـث فـإن كل هـذه الآراء محـل نظـر، فرواية تنصّـر أهلها نجران التـي وردت عند ابن اسحـاق يسندها إلى "وهب بن منبه الأبناوي"، و "محمد بن كعب القرضـي" وكلاهمـا تابعي من الرواة الثقاة عند أهل الحديـث[٤]، ويسندها – أي ابن اسحاق – في حين آخر إلى "بعض أهل نجران"[٥]. وبالتالي فإن مسألة اقتباس الرواية الإسلاميـة من مـوارد نسطورية سريانية تبدو مستبعدة، فاختـلاف أسماء الرواة التي وردت في كلا القصتين أبرز الأدلة على اختلاف أصول الروايتين الاسلامية والسريانية

---

(١) ابن هشام، السيرة، ج١، ص ٣٤. الطبري، التاريخ، ج٢، ص ١٢١– ١٢٢.

(2) Anonymous, The Book of the Ḥimyarites, pp. xlv.

أبو جودة، أضواء على المسيحية، ص ٩٨– ١٠١.

(٣) ابن جريس، غيثان، نجران، دراسة تاريخية حضارية (ق١– ق٤هـ / ق٧– ق١٠م)، (الرياض، الحميضي للطباعة والنشر، ط١، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م)، ص ٤٨.

(٤) ابـن سعـد، الطبقات الكبرى، القسـم المتمم، ص ١٣٤. البخاري، التاريخ الكبـير، ج١، ص ٢١٦، ج٨، ص ١٦٤. ابن حبان، الثقات، ج٥، ص ٤٨٧، ص ٣٥١. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٦٣، ص ٣٦٦.

(٥) ابن هشام، السيرة، ج١، ص ٣٤.

حتـى وإن حاول مومبرج وغويـدي التقليل من هذه المسألة تحديداً، ووضوح مصادر ابن اسحاق هنا مسألة لم تأخذ حقها الكافي من الاعتبار في نقاشاتهم السابقة.

إضافة إلى ما سبق فإن مسألة التشكيك في الرواية الإسلامية لا يجب أن يفضي إلى استبعادهـا، بل الأجدى أن يتجـه النقاش إلى دراسة ثمة إشكالية تبرز فيها وتتمثل في التسلسـل الزمني للأحداث الذي يعاني خللاً واضحاً، على عكس نظيرتها السريانية التـي يبدو التسلسل الزمني فيها مقنعاً، فالروايـة الإسلامية تتحدث عن تسلسل سريع للأحـداث بدء بقتل الغلام – عبدالله بن الثامر – ثم اضطهاد أهل نجران، وهذا يعني اختـزال النطاق الزمني بين انتشار النصرانية في نجران وقصة الاخدود. لكن المتمعن جيـداً لرواية ابـن اسحاق التي يلفها الاضطراب سيجـد الإجابة في نص قصير يسنده ابـن اسحـاق إلى "وهب بـن منبه" في قِصة النخلة التي كان يعبدها أهل نجران ثم دعا عليهـا فيميون: "... فَاتَّبَعَـهُ عِنْدَ ذَلِكَ أَهْلُ نَجْرَانَ عَلَى دِينِهِ، فَحَمَلَهُمْ عَلَى الشَّرِيعَةِ مِنْ دِينِ عِيسَى بن مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثُمَّ دَخَلَتْ عَلَيْهِمُ الْأَحْدَاثُ الَّتِي دَخَلَتْ عَلَى أَهْلِ دِينِهِمْ بِكُلِّ أَرْضٍ، فَمِنْ هُنَالِكَ كَانَتْ النَّصْرَانِيَّةُ بِنَجْرَانَ فِي أَرْضِ الْعَرَبِ"[١].

تؤكد رواية وهب التي نقلها ابن اسحاق هنا أن ثمة فاصل زمني تجاهله الرواة بين قصة اعتناق أهل نجران للنصرانية وقصة الأخدود التي حدثت لاحقاً فإذا كانت قد "دخلت عليهم الأحداث" كما يقول "وهب بن منبه"، فإن ذلك يوحي بمرور مرحلة من الزمن قبل أن تقع المحرقة، وتؤكد صحة ما نرمي إليه حول وجوب إعادة ضبط التسلسل الزمني في الرواية الإسلامية.

وبالتـالي فإنـه يمكن القـول إن ما سبق مـن روايات حول انتشـار النصرانية في نجـران تحديـداً وخاصة الروايتين السريانيـة والإسلامية يعكـس حقيقة واحدة يمكن استخلاصهـا وهي أن ثمـة نشاط تنصيري محموم وصـل إلى المنطقة نتيجة لعلاقاتها التجاريـة الواسعـة وأهميتهـا الاقتصادية الدوليـة البالغة الأهمية كمركـز رئيس على طـرق تجـارة البخور. ويعلق "جواد علي" علـى الروايات السابقة بأنهـا دليل على "أن النصرانية لم تدخل العربية الجنوبية من طريق واحد"[٢]. وإذا كان جواد علي قد عمم هـذا الاستنتاج على نطـاق جغرافي واسع فإنـه أحرى أن ينطبق بشـكل أدق على قصة النصرانية في نجران التي وصلت على الأرجح عبر أكثر من شخص وطريق إلى المنطقة مما جعلها تنمو وتنتشر بين نسبة كبيرة من أهل نجران مما شكل تحدياً أمنياً وسياسياً ودينياً للسلطة الحميرية كما سيتضح في المبحث التالي.

---

(١) ابن هشام، السيرة، ج١، ص ٣٣- ٣٤.

(٢) علي، المفصل،ج١٢، ص١٩١.

رابعاً: محنة النصرانية في نجران: من الانتشار إلى الاضطهاد

تحدثت المصادر السريانية عن حادثة اضطهاد نصارى نجران باستفاضة كبيرة وتفاصيل دقيقة لا تخلوا من التصوير المأساوي والعاطفة الدينية المتقدة. فقد وردت حادثة اضطهاد نصارى نجران عند أكثر من مؤرخ سرياني متقدم كواحدة من أهم حوادث السنين التي أرّخوا لها مثل "يعقوب الرهاوي" (Jacob of Edessa)، و"الراهب القرطميني" (Qarṭmīn Monastery)، و"غريغوريوس بن العبري" (Bar Hebraeus) وغيرهم[١]. لكن ثمة مصادر أقدم كتبت خصيصاً في مناسبة هذه الحادثة، وتعد "رسالتي الأرشمي" و"كتاب الشهداء الحميريين" أهم و أقدم ما وصلنا عن هذا الحدث، وقد تحدث فيها الأرشمي عن تلقيه أخبار المجزرة المروعة حينما كان في زيارة لملك الحيرة المنذر بن ماء السماء[٢]، ومصادفته وصول مندوب أرسله ملك الحميريين يوضح له تفاصيل ما فعله تجاه الوجود النصراني مملكته ومن ضمنها نجران التي ارتكب فيها "مجزرة رهيبة" وقيامه بإحراق كنيستها وأسقفها بولس وعدد كبير من "الأشراف النجرانيين"، وفي نهاية رسالته – أي الملك الحميري – حث الملك "المنذر" الذي كان لا يزال وثنياً وقتها على اتخاذ نفس الإجراءات تجاه رعاياه النصارى[٣]. وفي باقي "رسالة الأرشمي" تفاصيل نقلها له شهود عيان عن الحوار الذي دار بين كبير نصارى نجران – الحارث بن كعب– والملك الحميري الذي أسماه الأرشمي بـ "مسروق"، حيث انتهى الحوار بإعدام الشيخ النجراني ومعه جمع من أبناء طائفته، فقد قطعت رؤوسهم والقيت جثثهم في الكنيسة قبل حرقها لاحقاً. كما تضمنت الرسالة تسجيل حوادث استشهاد نساء أخريات رفضن الارتداد عن دين المسيح مثل "رهم (رومي) بنت أزمع"، و"حفصة (حبصة) بنت حيّان"، إضافة إلى قصة الطفل

---

(1) Brooks, Ernest Walter. "The Chronological Canon of James of Edessa." ***Zeitschrift der Deutschen Morgenländischen Gesellschaft*** **54**,1, pp. 100-102, (1900), p. 319.

الباسبريتي، منصور بن مرزوق، حوليات الراهب القرطميني، (دهوك، دار المشرق، ٢٠١٢م)، ص٣٢. ابن العبري، غريغوريوس أبو الفرج بن هارون الملطي والمعروف بـ ابن العبري، التاريخ الكنسي، ترجمة، صليبا شمعون، (دهوك، دار المشرق الثقافية، ٢٠١٢م)، ج١، ص ٥٠.

(٢) هو المنذر الثالث بن امرئ القيس بن النعمان الملقب بابن ماء السماء نسبة إلى أمه واسمها ماوية بنت عوف بن جشم تولى الحكم مرتين الأولى بدأت عام ٥١٤م- ٥٢٤م حيث انتهت باستيلاء ملك كندة "الحجر بن آكل المرار" على الحيرة بدعم ملك فارس حينها "قباذ الأول بن فيروز" لكن المنذر عاد لاحقاً إلى الحيرة منتصراً عام ٥٣١م وبدعم كسرى الأول هذه المرة فظل ملكاً للحيرة حتى مقتله في معركة "عين أباغ" مع ملك الغساسنة "الحارث الأعرج بن جبلة" عام ٥٥٣م، وقد كان "المنذر" وثنياً في اول أمره لكنه تنصّر لاحقاً على يد "حنظلة بن أبي عفر" في قصة روتها مصادر الأدب والتاريخ الإسلامي. الأصفهاني، حمزة بن الحسن، تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء، (بيروت، مكتبة الحياة، ١٩٦١م)، ص ٨١- ٨٤. غنيمة، يوسف رزق الله، الحيرة والمملكة العربية، (بغداد، مطبعة دنكور الحديثة، ١٩٣٦م)، ص ١٦٥- ١٨٢.

(3) Zachariah of Mitylene, ibid, pp. 192- 203. Anonymous, The Chronicle of Zuqnīn, pp. 78- 85. يعقوب، الشهداء الحميريين، ص ٤٣.

الـذي حث أمه على عدم الارتداد عن دينها[١]. وختم الأرشمي رسالته بأن حث أساقفة الإسكندريـة أن يكتبـوا بدورهم إلى ملك الحبشة لنجـدة نصارى نجران، كما دعا إلى نقـل أخبار الحادثة إلى أهم مـدن العالم النصراني في ذلك الوقت محملاً يهود طبرية تحديداً دوراً تحريضياً تجاه في حدث من اضطهاد للنصارى في "بلاد الحميريين"[٢].

أما الرسالة الثانية المنسوبة إلى الأرشمي، و"كتاب الحميريين" فقد تضمن كلاهما معلومـات مشابهـة لما ورد في "الرسالـة الأولى" لكنها تبدو أكـثر وضوحاً إذ تحدثا عن إرسـال الملـك الحميري لحملة عسكريـة يتزعمها ثلاثة من كبـار قادته حيث حاصرت المدينـة لكنهـا فشلت في تحقيـق مرادها قبل أن يتقـدم الملك نفسه حملـة أكبر قدرها الأرشمـي بـ ١٢٠ الـف مقاتل، وقد استطاعـت إجبار أهل المدينة علـى الاستسلام بعد أن أقسـم لهم الملك الحميري (بالرحمـن وشرائع موسى) بعدم المساس بهم حيث أدى بعض الكهنة اليهود - من طبرية – دور الوسيط في هذا الصلح[٣]. ثم يتحدث الأرشمي ومؤلف "كتاب الحميريين" عن غدر الملك الحميري بأهل نجران، ويصف الطريقة التي قتل بها النصارى حيث أمر بتصفية جميع من استسلم وجمع جثثهم في الكنيسة الكبرى للمدينة، ثم دعا برجال الدين من قساوسة وشمامسة وأفراد آخرين قبض عليهم لاحقاً وزج بهم أيضاً في الكنيسة قبل أن تصدر أوامر الملك بحرق الكنيسة على من فيها[٤].

كمـا تضمنـت "رسالة الأرشمـي الثانية" معلومات لا تخلوا مـن الغرابة والمبالغة حيـث تشير إلى مجموعة من النساء النصرانيات اللذين رمين بأنفسهن في النار بعدما شاهـدن مصير من سبقهـن. كما يتحدث المصدران - رسالـة الأرشمي الثانية وكتاب الحميريـين - مـرة أخرى عـن الحوار الذي دار بـين الملك الحميري وزعيـم النصارى النجرانيـين، وقصـة رهم وحفيصـة إضافـة إلى شخصيات أخرى تعرضـت للمساومة علـى ترك دينها والقتل لاحقـاً[٥]. وتتضمن الرسالة بعض أصناف التعذيب والقتل التي تعرض لها النصارى النجرانيين مثل قطع الأعناق، والحرق بالنار، والرشق بالحجارة، وربط الضحايا بالحيوانات ثم جرّهم حتى الموت[٦].

---

(١) يعقوب، المرجع نفسه، ٤٤- ٤٦.

(٢) يعقوب، المرجع نفسه.

(٣) يعقوب، المرجع نفسه، ص ٤٩.
Anonymous, The Book of the Ḥimyarites , p. cvii . Shahīd, The Martyrs of Najrān, p. 45.

(٤) يعقوب، المرجع نفسه، ص ٥٠.
Anonymous, ibid, p. cxii. Shahīd, ibid, pp. 46- 47.

(٥) المرجع نفسه، ص ٥٣- ٥٦.
Anonymous, ibid, p. cxxxvii.

(٦) المرجع نفسه، ص ٥٣- ٥٦.
Anonymous, p. cxxvii. Shahīd, Ibid. pp. 48- 52.

إلا أن ثمة إشارة مهمة ترد في كتاب الحميريين في ثنايا حوار "حفصة" مع الملك الحميري حيث كانت تفتخر بأن والدها – أو جدها – "حيّان" قد قام بحرق كنيس يهودي قبل موته، وهو ما اعتبره "مومبرج" دليلاً واضحاً على حدوث صراع يهودي-نصراني في نجران قبل أن يغزوها ذو نواس[١]، وهو رأي محل اتفاق بعض المؤرخين المسلمين، ذلك أن الدينوري والطبري أشارا إلى أن أحد أسباب مجيء ذو نواس إلى نجران هو ما تعرض له بعض يهودها من اضطهاد النصارى النجرانيين[٢]، وهو ما يعني وقوع صراع طائفي خطير دفعت جنوب الجزيرة العربية بأسرها ثمنه غالياً فيما بعد.

وإذا كان الطابع المأساوي والعاطفة الدينية قد طغت على "رسالتي الأرشمي" و"كتاب الحميريين"، فإن الخلفية المذهبية للمؤلفين كانت سمة واضحة في ثنايا تصويرهما عبارات الشهداء النجرانيين التي حفلت بعبارات التثليث والطبيعة الإلهية للسيد المسيح – عليه السلام – كما يصورها المذهب اليعقوبي المونوفيزتي[٣]، وهو ما يجعل مسألة قبولها محل تحفظ فقد غلبت عليها العاطفة الدينية والغرض الذي كُتبت من أجله وهو تحريض العالم النصراني ضد الملك الحميري كما سبق توضيحه.

وبينما يتوقف التسلسل الزمني للأحداث عند الأرشمي في رسالتيه عند حث أساقفة الإسكندرية أن يكتبوا بدورهم إلى ملك الحبشة، يستمر مؤلف "كتاب الحميريين" في سرد بقية الأحداث حيث وضع في مقدمة محتويات كتابه عنواناً عن الفصل الرابع الذي تحدث فيه عن ذهاب أسقف نجران واسمه "توما" إلى الحبشة ناقلاً معه أخبار المحرقة[٤]، لكن المؤلف نفسه تحدث في موضع آخر من كتابه عن عريضة تقدم بها نجراني آخر اسمه "معاوية" إلى بلاط الملك الحبشي "كالب الأصبحة" (Kāleb the Elesbaan) طالباً النجدة لأبناء ملته، لكن هذا الفصل سقط ضمن الفصول المفقودة[٥]. غير أن بقية أجزاء الكتاب تتحدث عن ما بعد الانتصار الذي حققته الحملة العسكرية التي قادها كالب بنفسه، حيث وصل بجيشه إلى نجران وامتحن ديانة أهلها، فقد ذكر المؤلف أن كثيراً من الحميريين نحو من الانتقام حينما وشموا ايديهم بعلامة الصليب زاعماً أن كثيراً منهم كانوا يهوداً. ثم أقام سبعة أشهر

---

(1) Anonymous, The Book of the Ḥimyarites, p. xlix, p. cxxiii.

(٢) الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود، الأخبار الطوال، تحقيق: عبد المنعم عامر و الدكتور جمال الدين الشيال، (القاهرة، دار إحياء الكتب العربي – عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٩٦٠م، ط١)، ص ٦١. الطبري، التاريخ، ج٢، ص ١٢٣

(٣) يعقوب، الشهداء الحميريين، ص ٥٤– ٥٧.
Anonymous, The Book of the Ḥimyarites, p. xlix, p. cxxiii.

(4) ibid, p. ci.

(5) ibid, p. civ.

قـام خلالها بإعـادة ترميم كنائسها وبنـى كنائس جديدة، وعين رجـال دين جدد، ثم اختتمهـا بتعيين حاكم جديـد للبلاد وفرض جزية مالية تُدع لـه مقابل التبعية، ثم عاد إلى الحبشة[١].

يتفـق هذا النص التاريخي مـع كل الروايات الإسلاميـة والحبشية واليونانية في أن الأحباش قد غزوا بلاد حمير وقضوا على آخر ملوكها نتيجة لما قام به تجاه نصارى نجـران، إلا أن ثمـة اختلافـات في التفاصيل تتضح من خلال تلـك الروايات. فالرواية الحبشية التي دوِّنت في "سير القديسين الأثيوبيين، السنسكار" (Synaxarium) تُظهر تشابهـا كبـيرا مع ما ذكـره مؤلف "كتاب الحميريين"، إذ تشـير إلى ما فعله ملك بلاَد "سبـأ" اليهودي بأهل نجران عندما حاصرهم بأن أقسم لهم بالتوراة أن لا يغدر بهم، ولكنـه نكث بعهده وقتلهم وعلى رأسهم "القديـس حارثة بن كعب"، وقد وصلت أصداء هـذه المذبحة إلى "جستـين الأول" (Justin I) ملك الروم بعث رسالة إلى "تيموثاوس" (Timothy) رئيـس أساقفـة الكنسية القبطية بالإسكندريـة أن يكتب إلى ملك أكسوم (الحبشة) حتى ينقذ نصارى نجران من مجازر الملك اليهودي، وبالفعل استجاب الملك الحبشي وقاد حملة كبيرة قضى خلالها على الملك اليهودي وأعاد ترميم كنيسة نجران وجعل منها مزاراً للحج الكنسي (Commemoration)[٢].

لا تحمـل الروايـة الحبشية هنا شيئاً مـن الاختلاف مع الروايـة السريانية سوى في ذكـر السبـب الذي دفع ملك الحبشـة إلى التدخل وهي رسالـة الامبراطور جستين. هـذا الاختـلاف البسيط يقودنـا للبحث عن مصـدر الرواية الحبشية التـي تكاد تكون مستنسخـة من مصدر أقدم وهـو رواية "استشهاد القديس الحارث" وهي رواية كتبها مؤلـف مجهـول يجيد اليونانية في القرن السادس الميـلادي، ثم ترجمت لاحقاً إلى عدة لغات بينهـا "الجعزية" الحبشية باسم "سيرة حيروت"[٣]، بـل إن أكبر دلالات اعتماد الروايـة الحبشيـة على رواية "استشهـاد القديس الحارث" استخـدام نفس المصطلح السياسـي الـذي عرّف به مؤلف الرواية ذو نواس حينمـا أسماه بـ "ملك سبأ" بدلاً عن "ملـك حمـير"[٤]، وهذا ما يفضـي إلى نتيجة مفادها أن الروايـة الحبشية هنا لا تبدو أصيلة مثل نظيرتها السريانية.

لكـن روايـة "استشهاد الحارث" تبـدو ذات أهمية بالغة هنـا، إذ تنقل تفاصيل تجاوزتها الروايتين الحبشية، والسريانية، فقد تحدثت بتفاصيل مستفيضة ذات تصوير

(1) Ibid, pp. cxlii - cxxxvii .

(2) The Book of the Saints, pp. 166- 168.

(٣) كوثر علي، حادثة الأخدود، ص ٤٣٧.

(٤) مجهـول، الروايـة العربية لاستشهاد القديس حارث بن كعب ورفقائه في مدينة نجران، حققها وقدم لها: حارث ابراهيم، (بيروت، منشورات جامعة البلمند، ٢٠٠٧، ط١)، ص ١٢٣- ١٢٥.

اسطـوري ومأساوي عن أوامر الملك اليهـودي إلى جنوده بخد حفرة كبيرة على أطراف الـوادي وإيقاد نـار كبيرة ألقي فيها عدد كبير النصـارى المضطهدين ليلقوا مصيرهم حرقـا وهو ما تنص عليه الرواية الإسلامية ايضاً[١]. كمـا اصطلحت على تسمية الملك الحمـيري بـ "دنحاس" القريبة من "ذو نواس" الذي تقدمه الرواية الاسلامية، وليس "مسـروق" كمـا في الرواية السريانية مادة هـذه الدراسة الرئيسـة[٢]. ولعل ذلك ما يجعل من نافلة القول أن الرواية الحبشية هنا تبدو أقرب للرواية الإسلامية في المسألتين السابقتـين، وهو ما يعنـي أن كاتبها اعتمد على مصادر قريبة مـن نظيرتها الإسلامية والأرجـح أنهـا نجرانية ذلك أنه تحدث عن ما دار في بـلاط ملك الحيرة حينما وصلته رسالـة الملـك الحميري بخبر اضطهاد نصارى نجـران. ولا أدل على ذلك من أن رواية "استشهاد الحارث" تظهر تطابقاً لافتاً مع الرواية السريانية -رسالتي الأرشمي وكتاب الحميريـين- التـي استقت بدورها معلومات الحادثة من ناجـين من المحرقة قدموا من نجـران، وذلـك ما يتبين في عناصر رئيسة في سردية الاضطهـاد مثل الإشارة إلى نكث الملك اليهودي باليمين الذي قطعه لأهل نجران، ونبشه عظام أسقفهم "بولس"، وحرق رجال الدين في الكنيسة، وشخصية "القديس الحارث"، وقصة "رهم بنت أزمع" التي اسماهـا "دهـم"، وحادثة الطفل الصغير مع الملـك، ورسالة الملك الحميري إلى ملك الحيرة، واسم الملك الحبشي "الأصبحة"[٣].

لكـن ثمـة مسألة هنا ينبغي التوقـف عندها وتتعلق باسم الملـك الحميري الذي اقـترف مأساة الاضطهاد، وزعيم النصارى النجرانيين الذي تقدمه الرواية السريانية ونظيراتهـا النصرانيـة باسم "الحـارث" أو "حارثة" بن كعب. وفي هـذا الصدد يعلل "عصـام سخنينـي" سبب تبني الرواية السريانية "مسروق" بـدلاً من "ذو نواس" أو "يوسـف" الـذي نصت عليه الرواية الاسلامية والنقوش بأنه تحريف متعمد لما يحظى بـه اسم "يوسف" من ذاكرة تبجيلية في تاريخ النصرانية، ولذلك ربما تبنت "مسروق" التي تعني عديم القيمة في السريانية بهدف التحقير من اسمه[٤].

وأيـاً كان التعليـل فإن الواضح أن اسم "مسـروق" يتردد بإجماع كبير في الموارد السريانيـة، لكن ذلك لا يتفق مع ما تظهره الدراسـات الأثرية التي أجريت في المنطقة، وأسفرت عن اكتشاف نقوش تحوي نصوصاً بالغة الأهمية وذات علاقة مباشرة بالمحرقة. فقـد وردت الإشـارة صريحة إلى الملـك "يوسف أسار" في ثلاثة نقوش في "آبار حما" (ريكمانـز٥٠٧-Ryckmans 507 ، وجـام ١٠٢٨- Jamme 1028) و"جبـل الكوكب"

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص ٣١- ٣٤. مجهول، الرواية العربية ، ص ١١٢- ١١٥.
(٢) مجهول، المرجع نفسه، ص ١٣٠.
(٣) المصدر نفسه، ص٩٤- ١٢٠.
(٤) سخنيني، مقاتل المسيحيين، ص ٩٥.

(ريكمانـز ٥٠٨- Ryckmans 508)، الواقعـة إلى الشمـال الشرقي من نجران، حيث دُوِّن أحدهـا بتاريـخ يوليو ٦٣٣حميـري/ ٥٢٣م تقريباً، وتوثق النقوش الثلاثة جميعها العمليات العسكرية التي خاضها الملك "يوسف أسار يثأر" ضد أشكال الوجود الحبشي في جنوب جزيرة العرب مثل حرق الكنائس، وتأديب القبائل المتحالفة معهم، ومصادرة الأمـوال وغيرها، كما تشير بوضوح إلى تلـك الحملة العسكرية التي أرسلها إلى نجران وتحقيقها انتصاراً كبيراً على النجرانيين وحلفائهم الأحباش[١].

كل مـا سبـق إذاً يظهر توافقاً لافتاً مع الخط العـام للرواية السريانية التي تتهم الملـك الحميري بارتكاب أعمال تطهير ديني ضـد الوجود النصراني في حواضر أخرى غير نجران مثل ظفار والمخا وعدن ومنها القتل على الهوية الدينية، وقتل رجال الكنيسة الأحباش، وحرق الكنائـس. علاوة على ما سبق، تتفق النقوش المسندية بشكل لافت مع الطـبري والمسعودي الذين أشارا صراحـة إلى أن ذونواس اتخذ "يوسف" اسماً له بعد أن تهـوّد[٢]، بينمـا كان الأخير - أي ذو نواس - لقب أطلـق عليه لذؤابتان كانتا تتدليان على رأسه[٣]. وهكذا فإن كل هذه التفاصيل تجلي الغموض حول اسم الملك الحميري.

والحديـث عن مـا ورد في النقوش الثلاثة يأخذ النقاش إلى ثمة مسألة جديرة بالتوقـف عندها، إذ اعتبرت دراستـين حديثتين عدم إشارة النقوش الثلاثة إلى حفر الأخـدود، أو ارتـكاب مذبحة في نجران دليـلاً على نفي صلة قصـة الأخدود بنصارى نجـران[٤]. ومسألـة عدم الإشارة إلى حفـر الأخدود، أو حتى الهوية الدينية لنصارى نجـران واضحـة في النقوش الثلاثة، لكن ذلك لا يعد دليلاً كافياً على نفي الارتباط بين نجـران وقصة الاخدود، ذلك أن المصادر الإسلامية ونظيرتها النصرانية - السريانية واليونانيـة- أثبتت مصداقية عالية في تسجيل الأحداث رغم ما يعتريها من ملاحظات

---

(١) بافقيـه، محمد عبدالقادر، تاريخ اليمن القديم، (بيروت، المؤسسـة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨ م)، صـ١٥٤- ١٥٦. العتيبـي، محمـد بن سلطان، "آثـار نجران ما قبـل الإسلام"، موسوعـة المملكة العربية السعوديـة، محور الآثار، منطقـة نجران، الباب ٣، الفصل ٢ (الرياض، مكتبـة الملك عبد العزيز العامة، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م)، ص ٢٠٥. ولنفـس المؤلف، التنظيمات والمعارك الحربيـة في سبأ من خلال النصوص منذ القرن السادس ق.م وحتى القرن السادس الميلادي، (الرياض، وكالة الوزارة للآثار والمتاحف، ١٤٢٧ هـ، ٢٠٠٦ م، ط)١، ص ٣٠٦- ٣١٢. كوثر علي، حادثة الأخدود، ص ٣٣٥- ٣٥٠.

Hoyland, Robert, ***Arabia and the Arabs: from the Bronze Age to the coming of Islam,*** (London and New York, Psychology Press, 2001), pp. 52- 53. .Robin, Christian, " Ḥimyar, Aksūm, and Arabia Deserta in Late Antiquity: The Epigraphic Evidence", ed. Greg Fisher, ***Arabs and Empire Before Islam***, (Oxford, Oxford University Press Oxford, 2015), pp. 40- 41.

(٢) الطـبري، التاريـخ، ج٢، ص ١١٩. المسعودي، علـي بن الحسن، مروج الذهب ومعـادن الجوهر، (بيروت، المكتبة العصرية، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٥م، ط١)، ج٢، ص٦٢.

(٣) ابـن قتيبة، عبدالله بن مسلم، المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢م، ط٢)، ص٦٣٦ . الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٦١.

(٤) ابو الجدايل، شهداء نجران، ص ٢٣. كوثر علي، حادثة الأخدود، ص ٣٥١.

سبـق الإشارة إليها في حينه. وإذا كانت الروايـة الإسلامية لا تقدم دليلاً كافياً على أن نصـارى نجران هـم شهداء الاخدود بالنسبـة للباحثتين، فإن ما ذكـره مؤلف "سيرة القديس الحارث" حول أوامـر الملك اليهودي بحفر الأخدود علـى أطراف الوادي يثير تساؤلاً جديراً بالأخذ به، ذلك أنه لا يبدي تطابقاً صريحاً مع الرواية الإسلامية المبنية أصـلاً علـى ما ورد في القـرآن الكريم حول قصة "أصحاب الأخـدود" فحسب، بل لأنه اعتمـد على مصادر مستقلة وبعضهـا شهود عيان مما ساعده على تكوين رواية تتطابق كثير من تفاصيلها مع نظيرتيهـا السريانية والاسلامية كما سبق توضيحه[١]. كما فات علـى الباحثتين مسألـة أخرى مهمة وهـي أن تواريخ العالم القديم في بـلاد الرافدين، وفارس، والتواريـخ النصرانية لم تتحدث عن قصة أخـدود مشابهة لما وقع في نجران، رغم حوادث الاضطهاد الديني التي سجلتها بتفاصيل كثيرة[٢].

وإذا مـا تناولنـا الجانب الدينـي في هذا النقاش، فـإن النصرانية ديانة سماوية تتفـق في أصولهـا الأولى مع جوهر العقيدة الإسلامية القائمة علـى "التوحيد" وبشرية السيـد المسيح - عليه السلام -، وقد رجّحت الدراسة الحالية وصولها - أي النصرانية - إلى نجـران قبل الانشقاق الكنسي، أي قبل بروز الصـراع الديني في الكنائس الشرقية حول طبيعة السيد المسيح - عليه السلام -، فهل يمكن الاطمئنان للمصادر النصرانية في تعريفهـا لعقيـدة نصـارى نجران في السيـد المسيح - عليـه السـلام - التي ذكرنا فيمـا سبـق أن تناولها كان من خـلال الخلفية العقائدية للمؤرخـين النصارى أكثر من الموضوعية التاريخية. وبالتالي فإنه ليس من الموضوعية في شيء الجزم بأن من تعرض للاضطهـاد من نصـارى نجران كانوا على المذهب اليعقوبـي المنوفيزتي في ظل طغيان العاطفـة الدينية على المصادر النصرانية واختلافها الكلي مع نظيرتها الإسلامية التي تقـدم تعريفاً إسلامياً - إذا صـح التعبير - عن عقيدة نصارى نجران في السيد المسيح - عليـه السلام -. وعليه فـإن كل القرائن السابقة تؤكد الارتبـاط التاريخي بين قصة الأخـدود ونصارى نجران، أما غير ذلك فهو مجافاة للحقيقة، إلا أن يتوفر دليل واضح حول عقيدة النصارى النجرانيين الأوائل في المسيح - عليه السلام -.

أمـا اسم زعيم النصـارى النجرانيين فهي مسألة أخرى جديرة بالبحث ذلك أن ثمة جدلٍ يُثار حولها، فقد اعتبره "مومبرج" سؤالاً مفتوحاً ذلك أن اسم "الحارث" ظل متكـرراً في كتاب الحميريين دون دليل كاف يربطه بعبدالله بن الثامر أو حتى "الحارث بـن كعب" القبيلـة المشهورة[٣]. إلا أن "سخنيني" عد تكـرار المصادر النصرانية لاسم "الحـارث بـن كعـب" دليلاً يؤكد انـه - أي الحارث - كان المتـولي لزعامة النصارى

(١) مجهول، الرواية العربية ، ص ١١٢- ١١٥.

(٢) مهـران، محمد بيومـي، دراسات تاريخيـة من القرآن الكريم، بـلاد العرب (١)، (بـيروت، دار النهضة العربية، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م، ط٢)، ص٣٦٣ – ٣٦٤.

(3) Anonymous, The Book of the Ḥimyarites, p. lx.

المضطهديـن في نجـران[١]، وهو ما لا يتفق معه "أبـو جودة" الذي يرى فيه اسم القبيلة اكثر منه اسم الشخص[٢]. والواقع أن الحقيقة المتواترة تاريخياً أن "الحارث بن كعب" اسـم قبيلة كبـيرة استوطنت منطقـة نجران والمناطـق القريبة منها بإجمـاع مصادر التراث الإسلامي[٣]، بل إن أحد النقوش المسندية تحدث صراحة عن الحملة العسكرية التـي أرسلهـا الملـك الحميري "شمر يهرعش" الذي عاش حتى نهايـة القرن الثالث الميـلادي ضد قبيلـة "حارثتن بن كعبم" (أي الحارث بن كعـب)[٤]. وهذا ما يعني أن قبيلـة بنو الحارث بن كعب كانت معروفة خلال القـرن الرابع الميلادي على أقل تقدير. والأرجح أن زعيم الطائفة النجرانية ينتمي إلى قبيلة بني الحارث بن كعب وليس اسمه مـا نصت عليه المصادر السريانية – وحتـى اليونانية والحبشية –، لذلك ليس مستبعداً أن تقـع المصادر السريانية وغيرها من التواريخ النصرانية في خلط كهذا، خاصة وأنها اعتمدت على مصادر شفهية وبلغات مختلفة فأسباب الخطأ واردة إذاً.

أما الجزئية الأخيرة الخاصة بما قام به الملك الحبشي في نجران فلا نجد فارقاً كبيراً بين الروايتين السريانية واليونانية إذ يشير مؤلف رواية "استشهاد الحارث" إلى قيـام الملـك الحبشي بترميم ما دُمِّر من كنائس وجعل أحدهـا مزاراً للشهداء، كما قام بتعيـين رجال دين جـدد كان أسقف الإسكندرية قد بعث بهـم[٥]. وهو ما يتطابق كثيراً مـع ما أشار له مصـدر يوناني آخر هو "أعمال الأسقـف جريجنتوس" (The Acts of Gregentios) لمؤلـف مجهول من القرن ١٠م على أقـل تقدير[٦]، حيث تحدث فيه عن رحلة "جريجنتوس" إلى جنوب الجزيرة العربية ووصوله إلى نجران في أعقاب انتصار الأحباش، وأشار إلى قيام ملكٍ الأحباش "كالب" ببناء ثلاث كنائس كبرى أحدها بُنيت في نفس موضع الكنيسة التي أحرق فيها الشهداء النجرانيين[٧].

---

(١) سخنيني، مقاتل المسيحيين، ص ١٠٦.

(٢) أبو جودة، أضواء على المسيحية، ص ١٠٧، هامش ٧٠.

(٣) تنتسب هذه القبيلة إلى الحارث بن كعب بن عمر بن علة بن جلد بن مالك وهو مذحج بن أدد بن زيد بن يشجب بـن عريـب بن زيد بن كهلان بن سبـأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان. انظر: ابـن الكلبي، هشام بن محمد بن السائـب، نسـب معد واليمن الكبير، ت: ناجي حسن، (بيروت، عـالم الكتب، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م)، ج٢، ص ٢٦٧. ابن حزم، علي بن محمد، جمهرة أنساب العرب، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م)، ص٤١٦.

(4) Jamme, Albert, ***Sabaean Inscriptions from Maḥram Bilqîs (Mârib)***, (Johns Hopkins Press, 1962), p 164- 165.

(٥) مجهول، الرواية العربية، ص ١٣٧.

(6) Berger, Albrechet, ***Life and works of Saint Gregentios, Archbishop of Taphar: introduction, critical edition and translation (The Acts of Gregentios)*** (Berlin- New York, Walter de Gruyter, 2006), p. 50.

(7) Berger, ibid, pp.5, 51,

إلا أن ثمة اختلاف عن ما سبق ينفرد به مؤلف رواية "استشهاد الحارث" الذي يشير إلى قيام الملك الحبشي بتعيين ابن "القديس الحارث" حاكماً محلياً على نجران، والذي لا يرد له ذكر في الرواية السريانية، أو حتى في "أعمال جريجنتوس" مما يعيدنا إلى مسألة الاختلاف الجزئي في الموارد التي اعتمدت عليها كلا الروايتين في بعض تفاصيل الحدث[١].

لكن كلا الروايتين السريانية واليونانية تختلف تماماً مع المصادر الإسلامية في تحديد اسم ومنصب الرجل الذي قاد الحملة الحبشية على مملكة حمير، إذ تقول الرواية الإسلامية إن "أرياط" أحد قادة الملك الحبشي الكبار وليس الملك نفسه هو من قاد الجيش الحبشي إلى الانتصار والقضاء على الملك الحميري[٢]. غير أن الرواية الإسلامية توقفت عن ذكر أي تفاصيل تخص وصول الملك الحبشي إلى نجران، واكتفت بالحديث عن نجاح الحملة التي يقودها "أرياط" في الانتصار على الملك الحميري وقتله وإسقاط دولته. لكن ذلك لا ينفي أن الأحباش لم يصلوا إلى نجران، بل إن العكس صحيح، خاصة إذا ما علمنا أن السبب الديني المعلن لهذه الحرب يتمثل في نصرة الأحباش لإخوتهم في الدين من نصارى نجران. فمن الطبيعي أن يكون لهم دور مفصلي في إعادة انعاش الوجود النصراني في نجران والذي كان ملموساً لاحقاً في مسألة إعادة صياغة الهوية المذهبية لنصارى نجران كما سيتضح أدناه.

خامساً: النصرانية في نجران بعد المحرقة وحتى ظهور الإسلام

رغم ما مر بها من امتحان عصيب، إلا أن النصرانية في نجران عادت للازدهار حتى أصبحت نجران أكبر مركز للنصرانية في جنوب غرب جزيرة العرب حتى ظهور الإسلام. غير أن هذا الازدهار اصطبغ بصبغة مذهبية "منوفيزيتية" أو "يعقوبية" على وجه التحديد، ذلك أن الأحباش فيما يبدو حرصوا على نشر عقيدتهم اللاهوتية في مناطق التواجد النصراني جنوب جزيرة العرب وفي مقدمتها نجران[٣]. ومن علامات هذا الازدهار عودة وتوسع مؤسسة الكهنوت الديني لرجل الدين النصارى في نجران، ورغم أن أحداث المحرقة كشفت عن مقتل عدد من رجال الكهنوت القساوسة والرهبان وحرق عظام أسقف نجران السابق "بولس"، فإن "كتاب الحميريين" يتحدث عن جلب الملك الحبشي "كالب" عدداً من رجال الدين على رأسهم أسقف يعقوبي المذهب للعمل في الكنيسة النجرانية[٤].

---

(١) مجهول، الرواية العربية، ١٣٧. وانظر أيضاً:
Anonymous, The Book of the Ḥimyarites, xxxv.

(٢) ابن هشام السيرة النبوية، ج١، ص ٣٧. ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع، الطبقات الكبرى، (بيروت، دار صادر، ط١، ١٩٦٩م)، ج١، ص ٩٠. الطبري، التاريخ، ج٢، ص١٢٥.

(٣) بالحاج، سلوى بالحاج صالح العايب، المسيحية العربية وتطوراتها من نشأتها إلى القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، (بيروت، دار الطليعة، ١٩٩٨م، ط٢)، ص ٧٢.

(4) Anonymous, The Book of the Ḥimyarites, p. cxlii.

وينفـرد مؤلـف "أعمـال جريجنتوس" بتفاصيـل دقيقة حول السياسـة الدينية، والسياسية، والاقتصادي، والاجتماعية التي وضعها الأحباش لإدارة المجتمع النجراني، وهـي التنظيمـات التي عُرفـت تاريخياً بـ "القوانـين الحميريـة" (The Laws of the Himyarites)[١]. وقـد تضمنـت اربعـة وستـين قانونـاً نصـت علـى ضـرورة احترام المناسبات الدينية، وتحريم الأنشطة التجارية أيام الأحد، والمواظبة على أداء الصلوات في الكنائـس، ومراقبـة الأنشطـة التجاريـة، وعقوبـات للجرائـم من قتل زنـا وسرقة ونحوهـا[٢]. ورغم أن هـذه القوانين انطلقت من خلفية دينية نصرانية واضحة، إلا أنها لم تتضمن موقفاً واضحاً تجاه معتنقي الديانات الأخرى سواء اليهود أو الوثنيين. وعدم ورودهـا في الموارد السريانية لا ينفي صحـة سياقها التاريخي العام ذلك مؤلف "أعمال جريجنتوس" كان معايشـاً للحـدث فيما يبـدو، أو أنه نقل عن مصـدر محلي نجراني مختلـف على أقـل تقدير عن تلك المصـادر النجرانية التي نقلـت تفاصيل المحرقة إلى الأرشمي ومؤلف "كتاب الحميريين".

ويبـدو أن نفـوذ الأحباش لم يحل دون وصول مذاهـب نصرانية أخرى إلى نجران التـي أصبحت خلال هذه الحقبة على ما يبدو ملجـأ آمناً لعدد من مضطهدي الكنائس النصرانيـة. فقد تحدث مؤلف "تاريخ سعرت" عـن قرار ملك الحيرة "المنذر" اعتبار في بـلاده من معتنقي "المذهـب اليولياني" (Julianism)[٣]، استجابـة لرسالة وصلته مـن "جستـين الأول" ملك الروم هراطقة وطردهم حيث هـرب عدد منهم إلى نجران ونشـروا مذهبهم هناك أي قبل عام ٥٢٧م[٤]، وهو ما أكده "ميخائيل السرياني" الذي أشـار في أحداث عـام ٨٦٠ يوناني/ ٥٥٠م إلى لجوء "سرجيس" (Sargis) رجل الدين اليوليـاني إلى "بلاد الحميريين" حيث أسس هناك كرسياً أسقفياً لطائفته، وعمل على نشر عقيدته هناك حتى وفاته بعد ١٣ عاماً، ثم خلفه أسقف آخر يقال له "موسى"[٥].

---

(1) Berger, ibid, pp. 83- 91, 411- 449.

(٢) للمزيد عن القوانين الحميرية انظر: النعيم، نورة، التشريعات في جنوب غرب الجزيرة العربية حتى نهاية دولة حمير، (الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م)، ص ٣٤٦- ٣٨٩. ابو الجدايل، قوانين جريجنتيوس، ص ٢٥ – ٦١.

(٣) فرقة دينية ظهرت في القرن السادس الميلادي حيث تعرضت للتكفير والاضطهاد واعتبر اتباعها هراطقة عنـد اتباع المذهبين المنوفيزتي والنسطوري بسبب زعمهـم أن جسد السيد المسيح نزل من السماء. انظر: بالحاج، المسيحية العربية، ص ٧٢.

Panicker, Mathunny, ***The person of Jesus Christ in the writings of Juhanon Gregorius Abu'l Faraj commonly called Bar Ebraya***, (Hamburg- London, LIT Verlag Münster, 2002), pp. 158- 159.

(4) Scher, ibid, p 144.

(٥) السرياني، ميخائيل، تاريخ مار ميخائيل السرياني الكبير بطريرك أنطاكية، ترجمة: مارغريغورس صليبا شمعون ، (حلب، دار ماردين، ج٢، ١٩٩٦م)، ج٢، ص ١٤٩.

يؤكد النصين السابقين أكثر من حقيقة هامة عن أوضاع النصرانية في نجران خلال المرحلة الممتدة من الإحتلال الحبشي وحتى ظهور الإسلام، وأول تلك الحقائق أن نجران أصبحت مكاناً آمناً لمضطهدي طوائف ومذاهب مختلفة للنصرانية ولم تعد محتكرة لمذهب ديني واحد. صحيح أن المذهب المونوفيزتي اليعقوبي حظي بدعم الأحباش وغدا هو المهيمن على الطائفة النصرانية بنجران، إلا أن مذهباً آخر منافس ومعاد له وهو المذهب اليولياني أصبح موجوداً بفعل جهود أتباعه الذين وصلوا إلى نجران وصار لهم أسقفهم ومؤسستهم الدينية المستقلة. وبالتالي فإن تواجد اتباع المذاهب النسطورية، واليعقوبية، واليوليانية، والملكانية لاحقاً يؤكد على حقيقة ترسخت مع الزمن وهي انتشار العقائد اللاهوتية المختلفة بين النصارى النجرانيين على عكس مطلع القرن الخامس الميلادي حينما وصلتهم النصرانية قبل أن يحدث الانشقاق الكنسي العظيم ويتزايد الجدل حول طبيعة السيد المسيح – عليه السلام– التي أصبحت القضية المركزية في النزاع الكنسي.

سادساً: اليهودية في نجران في السردية السريانية

تورد بعض المصادر السريانية المتوفرة لهذه الدراسة بعض المعلومات عن الوجود اليهودي بنجران، وهي معلومات على قلتها إلا أنها في غاية الأهمية ذلك أنها تجلي شيئاً من الغموض عن حجم الوجود اليهودي بنجران مقارنة بالنصرانية، ويبين حقيقة الدور اليهودي في حادثة الاضطهاد. و قد تحدث مؤلف "كتاب الحميريين" في أول فصلين من كتابه عن تاريخ اليهودية في جنوب جزيرة العرب، لكن هذين الفصلين فقدا مع غيرهما من فصول الكتاب[١]. غير أنه في مواضع أخرى من كتابه يتحدث بوضوح عن وجود يهودي حظي بدعم السلطة الحميرية في مواجهة انتشار نظيره النصراني، تمثل هذا الدعم في انتشار عدد من الكنس اليهودية قبيل حدوث الصراع بين أتباع الطائفتين النصرانية واليهودية[٢]. بل إن رسالة الأرشمي الأولى تشير إلى أن "يهود طبرية" كانوا يرسلون كهنة كل عام إلى بلاد الحميريين الذي سيكون لهم دور بالغ الخطورة في أحداث الاضطهاد، ذلك أنهم قاموا بدور تحريضي ضد الوجود النصراني بحسب ما ذكره الأرشمي كما سبق أن ناقشنا [٣].

ومن الطبيعي أن يواجه اليهود بموقف انتقامي بعد انتصار الأحباش على الحميريين ووصول قواتهم إلى نجران، لكن المصادر السريانية تشح عن ذكر معلومات شافية عن هذه المرحلة باستثناء ما ذكره مؤلف "كتاب الحميريين" من أن كثيراً من

(١) يعقوب، الشهداء الحميريين، ص٩٧.

(2) Anonymous, The Book Of The Ḥimyarītes. P. cxxiii.

(٣) يعقوب، الشهداء الحميريين، ص ٤٧.

يهـود نجـران نجوا مـن بطش الملك الحبشـي "كالب" بعـد أن وشمـوا أيديهم بعلامة الصليـب[١]. وإذا مـا بحثنا عن هـذه المعلومة في مصـادر أخرى معاصرة فـإن مؤلف "سيرة القديس الحارث" لم يشر إلى قيام الملك الحبشي بشيء من هذا القبيل حينما دخل نجران رغم اعترافه بارتكاب الأحباش مذبحة مروعة حينما دخلوا ظفار عاصمة الحميريين[٢].

وأياً كان موقف الملك الحبشي من التواجد اليهودي في نجران فإن نفوذ اليهودية وسطوتها هناك ستضعف بلا شك بعد افتقادٍ الغطاء السياسي، وسيتحول ميزان القوى إلى صالـح النصرانيـة طيلة الخمسين عاماً التـي قضاها الأحباش في جنوب جزيرة العرب كسلطة احتلال. لكن ذلك لا يعني أن اليهودية قد تلاشت أو انقرضت من نجران بل إن وجودها استمر كجزء من المكون الديني النجراني حتى القرون الأولى من التاريخ الإسلامي[٣].

سابعا: الخاتمة

هـدف هذا البحـث إلى دراسة أحوال نجران كما صورتها المصـادر السريانية بداية مـن التاريـخ المبكر للنصرانية في نجـران وحتى المرحلة التي سبقت ظهـور الإسلام. ورغم وجـود دراسات سابقـة اعتمدت على المـوارد التاريخية السريانية في دراسـة تاريخ المنطقة خاصة ما يتعلق بالنصرانية في المقام الأول، إلا أن هذه الدراسات ركّزت في مجاليها الزمني والموضوعـي على بحث جدلية وصول النصرانية إلى نجران وحادثة اضطهاد النصارى دون الخروج بنتائج حاسمة حول المسألتين. كما أن جُل تلك الدراسات لم تجلِ الغموض عن أحوال نجران ونصاراها ويهودها على وجه الخصوص بعد حادثة الاخدود حتَى ظهور الإسلام.

ومـن أجل البحث عن إجابات للمسائـل السابقة، سعت الدراسة إلى تقديم قراءة نقدية مقارنة لتاريخ نجران تجعل المصادر السريانية الأساس مع مقارنة رواياتها بما ورد في غيرهـا من مصادر أخرى سبق عرضها. بدأت هذه القراءة بالتعريف بأهمِ المصادرِ السريانيـة المعنية بموضوع الدراسة فتبيّن أن التواريـخ السريانية أبدت اهتماماً واضحاً بنجـران منذ وقـت مبكر للغاية يعود إلى النصف الأول من القـرن السادس الميلادي أي عشية وقوع محرقة الأخدود. إلا أن ثمة حقيقة تتضح لنا وهي أن النصرانية كانت مركز اهتمام تلك المصادر ولولاها لما كانت نجران ضمن دائرة اهتمام المؤرخين السريان.

---

(1) Anonymous, The Book of the Ḥimyarites, pp. cxxxvii- cxxxviii .

(٢) مجهول، الرواية العربية، ص ١٣٥.

(٣) للمزيد عن اليهودية في نجران من العصر الجاهلي وحتى صدر الاسلام انظر:
al-Nahee, Owed, "The Jews of Najrān: Their origins and conditions during pre- and early Islamic history, 525 -661 CE", ***Journal of History and Cultures*** (7) 2017: pp. 29 – 43.

ورغم السرد الأسطوري والطابع الديني الذي يعتري الرواية السريانية حول قصة وصول النصرانية إلى نجران، فإن قصة تنصّر "التاجر حيّان" التي وقعت على الأرجح في الربع الأول من القرن الخامس الميلادي تبدو مقبولة تاريخياً في ضوء العامل الاقتصادي المؤثر في أحداث هذه القصة، ذلك أن نجران عُرفت كمدينة ذات أهمية تجارية كبيرة في ذلك الزمن، فقد كانت إحدى أهم المدن الواقعة على طريق تجارة البخور والتوابل، ومارس أهلها النشاط التجاري حتى خارج الجزيرة العربية فلا غرابة إذا ان نسمع بتاجر نجراني يجوب بلاد الشام والرافدين لأجل هذا الغرض.

غير انه بدراسة هذه الرواية في ضوء روايات المصادر اليونانية (البيزنطية)، والحبشية، والإسلامية يتضح لنا أكثر من استنتاج. فرغم ميل معظم الباحثين لترجيح الرواية السريانية على نظيرتها اليونانية، إلا أن رواية "الأسقف أزكير" الحبشي تعيد السؤال حول كيفية وصول النصرانية إلى نجران، ذلك أن هناك بعض الإشارات التاريخية على وجود مبكر للأحباش ضمن الطائفة النصرانية في نجران. ولذلك كان من المهم العودة إلى الرواية الإسلامية التي اعتمدت على رواة محليين بعضهم من نجران، وليس على الموارد السريانية النسطورية كما زعم بعض الباحثين وهو ما سبق توضيحه. وبناءً على كل هذه المعطيات فإنه يبدو أن وصول النصرانية إلى نجران كان نتيجة طبيعية لنشاط تنصيري بسبب علاقات المنطقة التجارية الواسعة، وأهميتها في الاقتصاد الدولي والإقليمي في ذلك الوقت مما جعلها مركزاً تجارياً مفتوحاً أمام جاليات غير عربية سعت لنشر معتقدها الديني.

وحول حادثة اضطهاد النصارى الشهيرة بحادثة الأخدود، فقد تميزت المصادر السريانية بإيراد تفاصيل دقيقة استقتها من شهود عيان فنقلت لنا صورة تبدو قريبة لحقيقة أحداث التنكيل المروعة التي تعرض لها نصارى نجران على يد الملك الحميري ذو نواس. ورغم ما تحمله الرواية السريانية من تعابير دينية يعقوبية وتصوير مأساوي لا يخلوا من المبالغة، إلا أن سياقها العام يتلاقى مع الروايتين اليونانية والإسلامية في تحديد العناصر الرئيسة في سردية اضطهاد نصارى نجران وفي مقدمتها هوية الطرف المرتكب للاضطهاد، والمساومة على الدين، وطرق القتل التي تعرض لها النصارى النجرانيين وخاصة قطع الرؤوس، والقتل حرقاً، وحرق دور العبادة، وقتل رجال الدين. لكن عنصراً رئيساً بدا مفقوداً في هذه الرواية ويتمثل في عدم وضوح حقيقة معتقد نصارى نجران المضطهدين حول طبيعة السيد المسيح - عليه السلام - بسبب غلبة العاطفة الدينية والمذهبية على المصادر السريانية خاصة والنصرانية الأخرى عامة، وهو ما جعل الخلاف حول موقع حادثة الأخدود سؤالاً قابلاً للنقاش عند بعض الباحثين.

ورغم اتفاق الرواية السريانية مع نظيرتيها الإسلامية واليونانية في إبراز الدافع الدينـي للتدخل الحبشي إلا أن ثمة خـلاف حول الشخصيات المشاركة في هذا التدخل. فبينمـا تطـرح الرواية الإسلامية اسـم "أرياط" كقائـد حبشي للحملـة التي أسقطت الحكـم الحمـيري، تتفق الروايـة السريانية مع نظيرتها اليونانيـة في أن الملك الحبشي "كالـب الأصبحة" قاد بنفسه جيشـاً جراراً قضى على مملكة حمـير وقتل آخر ملوكها ووصـل إلى نجران نفسها حيث أصلـح كنائسها، وقام ببناء كناس أخرى، وأعاد تنظيم أمور النصرانية في المنطقة قبل أن يعين حاكماً ممثلاً له ويعود إلى بلاده.

ويبـدو أن ما قام بـه الملك الحبشي من إصلاحات للكنيسة النصرانية في نجران ساهـم في ازدهارها وجعل منهـا أكبر مركز للنصرانية في جنـوب جزيرة العرب حتى ظهـور الإسلام. غير أن هـذا الازدهار اصطبغ في البداية بصبغـة المذهب المونوفيزتي اليعقوبـي وهـو مذهب الكنيسـة الحبشيـة في ذات المرحلة الزمنية. لكـن ذلك لم يدم طويلاً فقد وصل المذهب اليوليانى إلى المنطقة وأصبح له أتباع وكنيسة ورجال دين مما يؤكد واقعاً مذهبياً متنوعاً للمجتمع النصراني في نجران حتى ظهور الإسلام.

ولم تهمل الدراسة التطرق لأحوال اليهود النجرانيين في ضوء التواريخ السريانية التـي تحدثت عن وجودهـم منذ وقت مبكر في نجران، وعـن علاقاتهم مع يهود طبرية والسلطة الحميريـة. والواقع أن المصادر السريانية تتفق مـع بعض التواريخ الإسلامية في الإشـارة إلى أن الصـراع بين أتباع الطائفتين النصرانيـة واليهودية في نجران كان سببـاً رئيساً في جلب تدخل الملك الحميري في نجـران وارتكابه حادثة الاضطهاد. لكن المصادر السريانية المتوفرة لم تسعفنا بمعلومات واضحة حول مصير يهود نجران اثناء الغـزو الحبشي وبعده، إلا من إشارة يتيمة تشـير إلى نجاتهم من انتقام الملك الحبشي بعد وشم أيديهم بالصليب، وهي إشارة لا يمكن الاطمئنان لها في ضوء الخطاب الناقم على اليهود في المصادر السريانية.

وعلى كل حال فإن الموارد السريانية تمثل مصدراً ثميناً ليس لتاريخ نجران فحسب، بل لتاريخ الجزيرة العربية منذ عصور ما قبل الإسلام وحتى العصر الإسلامي الوسيط، فضـلاً عن التاريخ الإسلامي منذ عصر الرسالة. ولذلك فهي جديرة بالاهتمام جمعاً، وتحقيقـاً، وترجمة، ودراسة على غـرار المدارس التاريخية الغربية التـي أبدت أسبقية لافتة في الاهتمام بهذه المصادر.